جامعة الإمام الحسين العلوم الإنسانية الإسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة

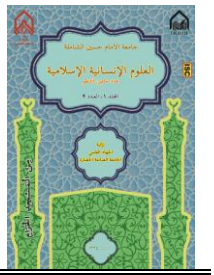

نقد على المفاهيم والتفاسير النسوية للقرآن الكريم ونظرياتها وقراءاتها

مرضيه محصص[1]

كلمات مفتاحية: القراءات النسوية، اعتبار زمني(مرحلي)، مساواة الجنسين، ثقافة العصر.

الملخّص

القضايا المتعددة التي ظهرت في مختلف المؤسسات الاجتماعية خلال العصر الحالي، هيأت الأرضية لنشوء تصنيفات حديثة من القراءات القرآنية والتي يمكن الخوض فيها من مناظير مختلفة. في هذا المقال تم دراسة القراءات النسوية المعاصرة للآيات القرآنية المتمحورة حول النساء ثم تم نقدها. التدقيق في الأسس المعرفية لهذه القراءات النسوية للآيات يظهر لنا أنها تقوم بتقديم مفاهيم مختلفة عن القرآن بغية التخلص من الهوامش التاريخية ومعارف التفاسير التقليدية كي تجد لنفسها نموذجاً متوافقاً مع العالم الحديث والتجارب التي عاشها مفسروها فيه الى جانب تقديمهم لمعان حديثة عن التوحيد والعدالة ودور الانسان أمام الله ودور كل من الجنسين، كما أنها سعت لاصلاح التفاسير القائلة بأفضلية الرجال على النساء في القرآن وذلك باستخدام طرائق التحليل وعلوم اللغة والتاريخ والأدب والاجتماع، وهنا نجد بعض النقاط القابلة للنقد كالنظرة الانتقائية لعصر نزول القرآن وتخصيص اعتبار زمني ومرحلي لبعض الآيات القرآنية حتى تلك العامة منها وعدم اعتبار البعض منها المرتبط بالنساء لازمني ولامكاني بل حصرها بفترة نزول القرآن، إذ أن حصر الأحكام التشريعية المتعلقة بالنساء بالتجربة الدينية للنبي الأكرم(ص) في بيئته الثقافية يؤدي لضياع مضامين دينية كثيرة كما أنها تأتي بمفاهيم باطلة معها. التغافل عن ضوابط التفسير ذات الطرائق الواضحة وتهميش أسس هامة في التفسير كأصل لازمانية ولامكانية القرآن هي بعض الاستراتيجيات الخاطئة لهذه القراءات.

معلومات المقالة

جامعة الإمام الحسين

العلوم الإنسانية الإسلامية

المجلد ٢، العدد ٤ (١٤٤٦)، ٣٠-١٧

تاريخ الإرسال: ١٦ جمادى الثانيه ١٤٤٦

تاريخ القبول: ٣٠ جمادى الثانيه ١٤٤٦

تاريخ النشر: ١٨ رجب ١٤٤٦

مراجع: ١٨

مراسلة: M_mohases@sbu.ac.ir

[1] - أستاذ مساعد فی کلیة الإلهیات و الأدیان، جامعة الشهید بهشتی، تهران، ایران. M_mohases@sbu.ac.ir

طرح المشكلة

خلال السنوات الأخيرة وجدت النظرات النسوية للقرآن الكريم طريقها الى قاموس الدفاع عن حقوق المرأة وقام المؤلفون والكتّاب التجديديين في هذا المجال بتفسير التعاليم الدينية وتقديم قراءة حديثة للقرآن الكريم لاثبات المساواة بين جنسَي الذكر والأنثى معتبرين إياه أصل قرآني مبدئي، فقام البعض منهم باتباع نهج وضع التوقيت التاريخي والزمني لتعاليم القرآن لاثبات وجهات نظره وقراءاته تلك مع اشارته للأحداث والتغييرات التاريخية لدى العرب في عصر الجاهلية خاصة عند نزول القرآن بغية الترويج لنماذجه الحديثة القائلة بمساواة كلا الجنسَين .(Ahmed,1992,34; Mernissi,1992,15)

يسعى المفسّرون النسويون التحرّي عن مكان وسبب نزول الآية المراد بحث فيها والتمييز بين الآيات التوصيفية والتشريحية بالاضافة الى التمييز بين الآيات التي تصف سلوكيات العرب في القرن السابع الميلادي وتلك التي تبيّن الأحكام والأسس الاسلامية وآدابها، كما أنهم يحاولون تقديم حلول للتمييز الجنسي القائم طيلة تاريخ التفسير وذلك عبر تفكيك الآيات العامّة عن الخاصة (أي تلك التي تنطبق على كل البشرية وتلك التي تنطبق في ظروف محددة).

شرحت الكاتبة أسماء بارلاس في كتابها (النساء المؤمنات في الإسلام: التفاسير الذَكَرية غير المطروحة للقرآن) هذه النقطة أنه لماذا تقاوم الكثير من التفاسير المعاصرة للقرآن الى حد كبير أسلوب قراءة القرآن وفهمه وفق النسيج التاريخي الظرفي للتفسير، وأضافت: "هؤلاء المتحفظين وبنفيهم للبعد الزمني للقرآن، يؤكدون على شمولية القرآن وكونه عالمي وغير تاريخي إذ أنهم يعتبرون أن اعتبار التوقيت الزمني والتاريخي للقرآن هو بمثابة تحديد سقف زمني لمفاهيمه وهذا من شأنه أن يُضعف سمة قدسيته وشموليته عالمياً. بعبارة أخرى اجتنب مفسرو القرآن البحث في آياته ضمن ظروف وحيها وبيئة نزولها خوفاً من أن هذه الآلية قد تلقي بمفهوم مفاده أن معاني القرآن محدودة بنسيج تاريخي(زمني) معين وبالتالي إذا ما كان القرآن قد نزل لعصر ومكان وأناس محددة، فلا يمكن اعتباره وحي شامل عالمي موجّه لعموم البشرية وهذا ما يضر بأصل إلهية النصوص القرآنية." (Barlas, 2002, 50-51)

يرى المفسرون النسويون أن القراءات التاريخية (المرحلية) للقرآن تساعد في تكوين قراءات أكثر دقة لآياته وأن اهمال دور الظروف الزمنية عند نزول آية ما، تؤدي لتعميم معناها وإضفاء بعد عالمي وشمولي لها في حين أنها كانت مختصة بظرف محدد وخاص ضمن أطر معينة. على سبيل المثال تستدل الكاتبة آمنة ودود بأن المفسرين وبسبب عدم تمييزهم بين الآيات العامّة والخاصة، يقومون بتعميم جميع الآيات عوضاً عن اعتبار تلك التي لها سبب نزول خاص على أنها مؤشر ضمن ظرف دقيق ومحدد تُستنتج من خلاله الأحكام العامة (wadud ,2004, 331). تؤكد الكاتبة بارلاس أيضاً على ضرورة عدم اعتبار الآيات التي لها سبب نزول خاص على أنها سطحية بل يجب تكوين ادراك دقيق حول ظروف نزولها التاريخية بغية فهمها بشكل صحيح وعندئذٍ يمكن استنباط المعاني العامّة الشاملة منها. لكن إذا ما لم ينجح تحقيق ذلك بشكل صائب، سنحصل حتماً على ادراك مقلوب عن مفهوم الآية وغايتها وهذا يعني تحريف معاني الآيات ذات السبب المحدد لنزولها. (Barlas, 2002, 55). من منظور ودود، تطرق القرآن لقضية ما واصدار الحكم فيها، محدودٌ بعصر نزول القرآن، وعلى سائر المجتمعات الاسلامية العمل على فهم المبادئ الحاكمة على تلك الآيات إذ أن تلك المبادئ هي الخالدة ويمكن الاستفادة منها في مختلف الأنسجة الاجتماعية (Wadud, 1999: 9)، وبعبارة

أخرى، التطرق لقضايا المرأة على أساس زمان عصر نزول القرآن ومكانه يمكننا وفق هذا المنظور من تكوين ادراك جيد عن الآيات التي لها سبب خاص لنزولها والتي تطرقت لقضايا خاصة ضمن ظروف عصرها. هذه السمات هي أدوات الوصول الى الغايات الإلهية بشرط تكوين فهم جيد عن المعطيات التاريخية (Wadud, 1999: 100-101). تصر آمنة ودود على البحث في الآيات القرآنية ضمن أطر النسيج الثقافي والاجتماعي لمخاطبي القرآن الناطقي باللغة العربية وأنه اذا ما لم يتم ذلك فإن كفاءة القرآن في هداية البشرية في مختلف المجالات ستكون موضع شك وفق زعمها (Wadud, 1999: 63) فطالبت كمثل فضل الرحمن بالعمل على ايجاد نموذج تفسيري للقرآن يقدم روح هذا الكتاب ككل فيما يتم استنتاج المفاهيم الشاملة لعموم البشرية منه وفق الأزمنة والأماكن على مر التاريخ (Wadud, 1999: 4)، فأكّدت في كتابها "في جهاد الجنسين: النساء المفكرات في العالم الاسلامي" أن بعض الآيات تقدم لنا مفاهيم عامة لكن ذلك لا يعني لزاماً أنها شاملة لعموم البشرية (Wadud, 2006, 195)، بل أن عمومية الآية مختصة بزمن نزول الوحي ومكانه، وعليه يجب فهم الآيات الخاصة بل وحتى العامة منها أيضاً على أنها مجرد بيانات متعلقة بالنسيج والظروف التاريخية الخاصة بها(Wadud, 2006, 194). أي أنه اذا ما لم يتم اجراء أبحاث دقيقة على الآيات العامة كمثل تلك التي تُجرى على الآيات الخاصة، سيواجه الباحثون مشاكل عدة خلال تفسيرهم القرآن كمثل استنتاج المفاهيم المتناقضة أو الخاطئة (Wadud, 2006, 196).

يخلص هذا المنظور بأن الاستنتاجات الذكورية للآيات التي تتحدث عن قضايا النساء كانت بسبب النواقص القائمة في معرفة طرائق تفسير تلك الآيات، و بعبارة أخرى لم يتسنى لمفسري القرآن أن يقدموا حتى الآن صورة صحيحة عن مكانة المرأة من المنظور القرآني كما أنه ليس بمقدور هؤلاء ايجاد الأحكام الخاصة بالمرأة المسلمة في العصر الحالي، وكما أسلفنا بالذكر، سنقوم في مقالنا هذا بالبحث النقدي للقراءات النسوية عن آيات القرآنية التي تتحدث عن المرأة.

١– أسس المفاهيم والقراءات النسوية للقرآن

بُنيت القراءات النسوية للقرآن على بعض من الأدلة والمبادئ التي يمكن تصنيفها على النحو التالي:

١–١. اختلاف تفسير القرآن عن النص القرآني

ترى آمنة ودود أن تفسير القرآن ما هو الّا بحث الانسان عن معنى الله. هذا التعريف لم يُبنى على أهم معتقدات المسلمين حول القرآن وهي أنه كلام الله[1] أو مكاشفاته[2] عن ذاته فحسب، بل أنه قد وُضع على قاعدة أن الله موجود ولطالما كان موجوداً وبالتالي لا يمكن حصره ضمن نصوص محددة فما بال البحث عنه وعن معاني نصوصه على أيدي الأشخاص مع كل تلك النواقص والضعف التي يعانون منها، وعليه فإن التفسير هو السعي لاكتشاف معنى الله ويمكنه أن يجتاز النصوص (Wadud, 2008,197).

في التعريف السابق تم افتراض عالمين اثنين أحدهما الهي أو وحياني، والآخر دنيوي. العالم الإلهي هو وجود الله وحضوره الأزلي ويظهر من خلال النصوص، أمّا العالم الدنيوي فهو السعي لاكتشاف غاية وجود الله وحضوره عزّ وجلّ ويظهر من خلال التفسير، وعليه ما قدمته آمنة ودود هو تعريف أوسع للتفسير مؤكدةً أن "التفسير هو البيانات الدنيوية[3] من

[1] - word of Allah
[2] - God's Self - disclosure
[3] - expressions

المكاشفات الذاتية الإلهية[1] (Wadud, 2008,190) مضيفة: أنا كشخص مؤمن أتقبل القرآن كله، لكنني أرى التفسير سعياً بشرياً –وبالتالي محدوداً– لتبيين معاني النصوص القرآنية وتحديد مصاديق العمل به(ودود، ١٣٩٥، ٢٨)." وفقاً لهذا المنظور، القرآن الكريم هو مكاشفات الله عن ذاته والتي تم ادراجها ضمن قالب آخر نصوص الوحي (251–– Wadud,2008,250). وبالطبع ما من سقف لبيان المشيئة الإلهية لكن القرآن هو مشكاة للنظر من خلاله وبوابة الى القدرات اللانهائية التي تهدي البشرية لمواصلة نموها المعنوي والاجتماعي(Wadud, 2008,197). من منظور آمنة ودود هذا، من يرى أن التعاليم القرآنية هي آخر التعاليم وغير قابلة للتغيير فقد أصيب بنوع من الشرك "المبدئي التاريخي" إذ تقول: "في الحقيقة ومن المنظور الفلسفي فإن حصر الله بالنصوص القرآنية، من شأنه أن يحصر الله بأرض الحاجز عند القرن السابع (الميلادي) أيضاً وبهذا الفكر، يتساوى مدى[2] المكاشفات الذاتية النصية الواضحة لله[3] مع ذات الله كلها التي هي أسمى وغير معروفة تماماً، فمثلاً اذا ما اعتقد شخص ما أن القرآن يوصي بالأبوة ومحوريته دون التطرق لأسس القرآن التاريخية، وقام بطرح معتقداته بأن رب القرآن ذكوري، فهذا يعني أنه قد قلل من شأن الله الى رب يقدم المبادئ النصية الذكورية الأبوية[4] وهذا نوع من الشرك بحد ذاته، إذ أن هذا الفكر كان ناجماً عن مفاهيم ورؤية أعراب القرن السابع حول الله وهو ما يعكس مدى سطحية معارفهم (Wadud,2008,213 – 214). وعليه اذا ما اعتقد شخص ما بأبدية الله فلن يقبل بتاتاً بأنه عزّ وجلّ قد بدأ بنصوص القرآن وانتهى بها (هدايت الله، ١٤٠٠، ١٤٥ – ١٤٦)."

عرّفت أسماء بارلاس التفسير على أنه "تقديم شرح كلي للآية بغية ايجاد معناها وتطبيقها الظاهري" كما أنها تعتقد باختلاف التفسير عن التأويل اذ أن الأخير من منظورها هو التبيين التمثيلي–الرمزي[5] "للمفاهيم العامة والخاصة لكلمات القرآن"، وعليه يكون للقرآن مرتبتين من المعاني على الأقل: المعنى الظاهري(الظاهر) والحقيقة الباطنية(الباطن) أي في الحقيقة "أصبح لكامل القرآن معنايين اثنين". وتضيف بارلاس بأن المسلمون يميزون بين التفسير المأثور(التفسير وفق الأحاديث والسنة) والتفسير بالرأي (التفسير على أساس الاستدلال النقدي). بجميع الأحوال التفسير بكل أشكاله هو نشاط "انتزاعي ونظري وفكري" بأساس أدبي مبني على القراءات "متعددة الامكانات"[6] للقرآن الكريم. (Barlas, 2019, 40).

ترى بارلاس أن القرآن مصدر الحقيقة للناس والوسيلة لتحقيقها بشكل عملي إذ أنه ليس مجرد نصوص عبادية وأداة للتقرب المعنوي الى الله فحسب بل أنه لطالما كان لهذا الكتاب الشريف الكثير من التطبيقات العملية والسياسية منذ ظهوره ولغاية اليوم وذلك لأن تعاليمه تدعو الى العدالة الاجتماعية الاقتصادية والمساواة، وعليه فهو كتاب تطبيقي للعمل به في هذا الكون. هذا الكتاب لا يهيئ الأطر اللازمة لوحدة المسلمين فحسب بل أنه مصدر لحقوقهم التقليدية (الشريعة) أيضاً ويُعتبر قاطعاً في بيان الفكر الاسلامي والنواة الأساس للاسلام. تأتي أهمية القرآن بالنسبة للمرأة من هذا الواقع أن المسلمون يعتقدون بأن التشريع المبني على اللامساواة بين الجنسين القائم في الشريعة يتوافق مع التعاليم الدينية، في حين أن حقيقة الشريعة بعيدة الى حد كبير عن تلك التعاليم كما تُصوّر، وعليه إذا ما أثبتت

1 - divine Self - disclosure
2 - extent
3 - Allah's particular textual exposure
4 - patriarchal contextual articulation
5 - allegorical-symbolic
6 - polyvalent

النساء أن القرآن يطالب بالمساواة، سيتسنى لهن مجابهة الفقه المصطنع على يد الفقهاء الذكور (Barlas, 2019, 36 - 53).

تعتقد بارلاس أن عملية التفسير لا تعكس التوجهات الدينية للمفسرين ومخاوفهم وتربيتهم فحسب بل إنها تعكس مستوى علومهم أيضاً كما تعبر لنا عن مدى مهاراتهم ومخيلتهم وحساسيتهم بل وحتى مزاحهم ووفاءهم الأدبي والفرقوي التي أثرت جميعها على العلاقة فيما بين التفسير واللغة العربية وعلى مجالات كالحقوق والإلهيات ورواية السيرة النبوية، وبمرور الزمن قامت المجالات المساعدة للتفسير بإنشاء فروع أدبية جديدة كي تلعب دورها المحوري في العلوم الإسلامية على أساس النص الأولي أي القرآن الكريم، كما تحول التفسير الى مسمار قام المنظرون من مختلف الفرق والمدارس بتعليق معتقداتهم عليه (Barlas, 2019, 36).

أما قابلية ارتكاب الخطأ في التفسير فهي ناجمة عن كون العملية دنيوية وبشرية (Wadud, 2008,197). كما أن آمنة ودود قد صرّحت علناً بإمكانية كون تفسيرها خاطئاً وتقبلت بأن قراءتها الشخصية[1] قد تكون ناقصة بسبب النسيج والبيئة التاريخية المحيطة بها وأيضاً لعدم نضج البشرية وفهمها غير الدقيق. هذا القبول والاعتراف يجعلها حرة في الدفاع عن أي مفهوم تريد التأكيد عليه أو تراه الفهم الوحيد الصحيح وهذا ما وجّه فكرها في النهاية نحو الخوض في التغيير اللامحدود قائلة بأنها ستنمو وتواجه كل خلائق الله وكتابه وكل المعاني الانسانية بالهداية المقدسة، وبالتالي فلا تهاب من مساعيها لفهم النصوص والعمل بادراكها ومشاركتها كل مرحلة من تقدمها في مفاهيمها مبررة ذلك كله تحت عنوان جزء من عشق الانسان الى كاتب النص واعتقاده به وتسليمه له، حتى وإن كان يؤدي ذلك الى أن يواجه الانسان بين الحين والآخر الله (Wadud, 2008,197) لتحصيل معان جديدة.

١-٢. وضع الاعتبار الزمني(المرحلي والتاريخي) لنصوص القرآن

القضية الأخرى لدى آمنة ودود هي موضوع وضع الاعتبار الزمني (التاريخي-المرحلي) لنصوص القرآن الكريم إذ أنها تعتقد بأن "كلام الله[2]" مهما كان، فليس القرآن بمثابة كلام الله التام لأن الكلمات تقبل الخطأ (Wadud, 2008, 208)، وقد طُرحت قضية كون القرآن مخلوقاً أم غير ذلك على ودود فأجابت بأن الله هو الخالق والقرآن مخلوق، كما ترى أن القرآن له سجل تاريخي لأحداثه غير قابل للتغيير والأحكام القرآنية لها بُعد تاريخي وبالتالي فإن تمييز الجنسين في القرآن أيضاً له بُعد تاريخي (زمني) محدد (Wadud, 2008, 205- 193). فكتبت في كتابها المرأة والقرآن: "الحمدلله فكلما بحثت وتمعنت أكثر في القرآن بغض النظر عن قرون من القراءات المتمحورة حول الجنسين والرغبات الثقافية العربية الاسلامية، أيقنت أكثر أن المرأة في الاسلام وبجميع أبعاده منذ بدء الخليقة ومعرفة الكون والآخرة والمجالات النفسية والمعنوية، هي انسان كامل ومساوي لهؤلاء البشر الذين يعتقدون بإلهية الله وبنبوة النبي محمد(ص) وبدين الاسلام (ودود،١٨،١٣٩٥)"

وجهة نظر ودود القائلة بالتحديد الزمني للقرآن ولنسيجه وللغته وإن كانت معترفة بغاية القرآن لهداية كل البشرية إلّا أنها تجعل له أطر معرفية محدودة وهذا ما يتعارض مع شمولية القرآن العالمية، كما أن ودود تدعي بأن الترتيبات الاجتماعية[3] المصرّح عنها في القرآن، تخوض في بعض القضايا التي تتناسب مع الاسلام فقط

[1] - own reading
[2] - the word of God
[3] - social

وأن هناك بعض من الترتيبات الاجتماعية الأخرى التي هي أكثر ضرورة وتناسباً ومساواةً والتي يجب العمل عليها (Wadud, 2008, 153) وعليه ترى (ودود) أن للقرآن آيات خاصة وعامة (ودود، ١٣٩٥، ١٤٣).

القاعدة التي ارتكزت عليها ودود هي امكانية تقديم تفاسير عدة للقرآن الكريم وهذا يعني أن الكلمات القرآنية هي عرضة دوماً لفهما بأكثر من معنى[1] ومختلف التفاسير[2] (Wadud, 2008, 205) إذ أن النص مصدر لغوي واحد لكن يمكن تفسيره بعدة أشكال. هذه قاعدة هرمنوتيكية هامة تستنتج من تاريخ التفسير ومصادرها، وتضيف ودود قائلة: اذا ما قام كلا العلماء المسلمون والعلمانيون[3] بتحليل المصادر نفسها، سيحصلون على نتائج عدة لأبحاثهم تلك وهذا ما يدل على أن هناك عوامل مفتاحية في عملية التفسير وهي التي توجّه المفسّر نحو نتائجه، وبالتالي يمكن استحصال عدة نتائج من المصدر الواحد، ولهذا يتم التركيز على العامل التفسيري بشكل أساسي خلال الهرمنوتيك. خلال هذه العملية يتغير التركيز التحليلي من مواد المصدر الى المفسرين أنفسهم الذين هم بالحقيقة العامل التفسيري وهذا يتبع لماهية النص اللغوية. بعبارة أخرى اللغة أو الاستدلال الانتزاعي[4] لها سمة التمييز بين مختلف المعاني[5] وفهمها بعدة أشكال[6] وذلك ضمن منظومة رمزية. العامل الذي يؤدي لتعدد المعاني هذه هي اللغة نفسها الى جانب كلٍّ من القارئ[7] أو المستمع[8](Wadud, 2008, 95)، وبالتالي يمكن للقرآن الكريم أيضاً كنص، أن يملك سمة تعدد تفاسيره بناءً على تبعيته للغته وأيضاً لتنوع مخاطبيه على مر العصور وبمختلف المجالات.

تؤكد بارلاس على هذه القاعدة عن طريق توضيحها لضرورة التفسير بسبب كون القرآن حاملاً لعدة معاني وعدم وضوح بعض من آياته وفق تعبيرها، كما ترى أنه وبسبب حاجة الدولة (وإن لم تكن مطابقةً بشكل كامل مع تعاليم القرآن، على الأقل تحمل اسم الاسلام رسمياً) نشأت مجتمعات متعددة الثقافات يوماً بعد يوم وبخروجها من أرض الحجاز بعد وفاة النبي(ص) أخذ ازديادها بالتسارع، وبالتالي فأساليب التفسير لا تعكس المستوى العلمي للفقهاء والعلماء وتعلقاتهم الدينية وتوجهاتهم فحسب بل انها تحمل أيضاً الأهداف السياسية للحكومات الأولى للمسلمين وتمسكاتهم بالسلطة خاصة الأمويين والعباسيين (Barlas, 2019, 36).

تؤكد آمنة ودود أنه ومن المنظور التاريخي، لطالما حصل القارئ أو المستمع السطحي محدود الأفق[9] على إجابات سطحية ومحدودة لاستفساراته، لكن الشخص المفكر[10] يضع لنفسه احتمالات عدة وآفاق أوسع وقراءات عدة للنصوص للبحث فيها، وعليه استمرت آمنة في بحثها حول امكانية تعدد التفاسير وتنوعها الى أن خلصت أنه من الممكن أن يكون للقرآن تفسير عادل ومسالم الى جانب تفسير غير عادل ومطالب بالعنف في آن واحد، وتضيف أن المسلمون لطالما استطاعوا أن يستخدموا نصوص القرآن لايجاد تفاسير لتحقيق العدالة وللخوض في العنف في آن واحد، كما أنها ترى في مواجهة القلب والعقل لدى المسلمين عند تعاملهم مع الكلمات، عاملاً مهماً لتحديد

1 - multiple meanings
2 - various interpretations
3 - laity
4 - abstract reasoning
5 - variant meanings
6 - multiple understandings
7 - reader
8 - listener
9 - narrow
10 - open

كيفية استخلاصهم النتائج حول معانيها وبالتالي خلصت الى أنه في عملية التفسير يُعتبر الناس(المفسرون) أيضاً كمصادر الى جانب القرآن ولهذا يجب التركيز على الرابط بين التفسير وأفكار المفسّر وسلوكياته(Wadud, 2008, 198-208).

١-٣. ضرورة إعادة تفسير القرآن من منطلق المطالبة بالمساواة

ترى ودود أن تفسير القرآن هو البحث فيه من مبدأ المطالبة بالمساواة بين الجنسين وتؤكد على أن قرائة نصوصه يجب أن تكون من منطلق المساواة. تعريفها عن التفسير هذا ينبع عن التحول الخاص في معتقداتها حول نص القرآن إذ تقول تارة في كتابها "القرآن والمرأة" أن القرآن نص يطالب بالمساواة، لكنها ترى في كتابها الجهاد لدى الجنسين أن عدم امكانية تأويل أي تمييز جنسي في كلمات القرآن هو ناجم عن النسيج التاريخي لفترة وحي القرآن وظروفها (Wadud, 2008, 205)، وعليه فإن القرآن كمشكاة يجب النظر من خلالها بغية الوصول الى القدرات اللانهائية التي تحث البشرية على مواصلة نموها المعنوي والاجتماعي (Wadud, 2008,197). وللتوضيح أن النصوص هذه الحاوية على التمييز الجنسي فيها والتفسير القائم على طلب المساواة، تعني كلها تحصيل القدرات اللانهائية للعبور من التمييز الجنسي الى تحقيق المساواة.

ترى آمنة ودود أن المفكرين والمفسرين هم صنّاع المعاني النصية وتقول: "نحن صنّاع المعاني[1] النصية". بناء على تعريفها هذا، يفقد التفسير معناه القائل بكشف النص الإلهي ومعانيه الإلهية بل يقوم المفسر من خلاله باصطناع المعاني للنصوص الإلهية بغية وصوله لأهدافه المطالبة بالمساواة فيما يتعلق بقراءته المبنية على النسوية. اصطناع المعاني هذه يجب أن تؤدي لتكوين الخبرات الانسانية والعدالة الاجتماعية، لكن وفقاً للتعريف أعلاه فالقراءة النسوية للقرآن الكريم ستؤدي لتكوين مفاهيم مختلفة ومفرطة منه. في الحقيقة هنا لن نكون أمام مجرد قراءة نسوية لنصوص القرآن بل اننا سنكون أمام اصطناع المفاهيم والمعاني النسوية الشاملة المطالبة بتحقيق المساواة بين الجنسين على قاعدة الكرامة الانسانية الكاملة للمرأة.

تضيف ودود قائلة: الآن من الضروري أكثر من أي فترة مضت في تاريخ المسلمين أن نصنع معاني النصوص بغية تحقيق الكرامة الانسانية للمرأة، ودوافعنا لذلك هي تماماً ضمن أطر الاسلام وهو نظام يصنع المعاني حول العدالة الاجتماعية ونصوصه خير اثبات على تلك المفاهيم، وحيث أننا نعترف أنه ليس بمقدور أي نص أن يكشف الذات الإلهية كاملة، نستنتج أن نصوصه تلك أيضاً ليست ببيانات الله الكاملة والحصرية أيضاً. العصر والظروف هي التي توجهنا لاصطناع المعاني المطالبة بالمساواة على مبدء الكرامة الانسانية الكاملة للمرأة وذلك لأننا نعيش في زمن يعاني من أقل مستوى لمفهوم نيابة المرأة والمساواة بينها والرجل، ولهذا علينا الخوض في لعبة النص واصطناع معاني النص الحساسة بغية النهوض بتيار كامل مطالب بالعدالة بين الجنسين (Wadud, 2008, 205). اصطناع المعاني والمفاهيم للنصوص هو نوع من اكتشاف معانيها لكنه ليس من نوع ايجاد المعاني اللفظية لجملها بل من نوع ايضاح روح الكتاب. وفقاً لهذا المنظور، يصبح الهدف من التفسير هو ايضاح المعاني[2] التي تعكس روح هذه الفكرة بأن الله عز وجل الذي يقع في منتهى الغموض[3]، يريد استخدام أفراد من البشر كي يقوموا بايضاح

[1] - makers of textual meaning
[2] - unveil the meanings
[3] - ultimately unknowable

المعاني تلك على أحسن وجه بحيث تعكس للبشرية أساس رسالاته.

ترى آمنة ودود أن عملية اصطناع المعاني العمدية هذه للنصوص لصالح تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة هي مجرد العبث في الأبعاد التاريخية الحضارية للنص، ومن هذا المنظور رأت أنه وعلى مر العصور، جرى العبث[1] في معاني القرآن الكريم كثيراً بناءً على التحولات الحضارية للبشرية ولهذا ينبغي بحسب رأيها أن يتم تكرار ذلك على المعاني القرآنية اليوم أيضاً لتواكب النمو والتطور الحضاري إذ تعتقد أن المجتمع لطالما غير النص بالتناسب مع التطور الحضاري البشري وبالتالي علينا تقبل فعل ذلك بكل بساطة مع القبول بتحمل مسؤولية النيابة والخلافة في تحقيق هذا الأمر باستشارة المجتمع(Wadud, 2008, 205).

بناءً على ما سبق يتوجب إعادة تفسير القرآن بشكل مستمر كي يكون ذا معنى على الدوام (ودود، ١٣٩٥، ٣٥) مما يعني أن كل جيل من الأجيال إذا ما استمر بتفسير القرآن على نحو يوضح هدفه الكلي، سيكون من الممكن العمل بالهداية القرآنية على نحو منطقي وعادل في كل العصور. هذه الطريقة قابلة للمطابقة مع وقائع اليوم والمستقبل (ودود، ١٣٩٥، ١٧٦). كما ترى ودود أن وجود العديد من التفاسير مؤشر على أن عملية تفسير القرآن قد جرت بأشكال كثيرة ومن المحتمل أن تستمر على هذا النحو أيضاً. يجب أن تستمر سمة مطابقة التفسير بانتقالها من شخص الى آخر ومن زمان ومكان الى زمان ومكان آخرين حتى النهاية وبكل قوة وذلك لأنه أمر طبيعي من جهة ومن جهة أخرى يمكن بواسطة التفسير المستمر فقط أن يتم إعادة توضيح حِكَم القرآن وتطبيقها، والعمل بها هذا مرتبط بالتجارب المختلفة للحضارة البشرية.(ودود، ١٣٩٥، ١٦٤-١٦٥)

تؤيد بارلاس أيضاً إعادة التفسير المستمر للقرآن الكريم إذ تعتقد أن التفسير عملية تاريخية ومرحلية جرت في بداياتها "كسنة شفهية لنقل الحديث" وفق آراء المفسرين ثم وجدت مختلف العقائد في التفسير شرعيتها من "الحاجة الى ربط القرآن بكل زمان وظرف"، وعندما كانت الحاجة الى التطرق لمختلف المجالات الاجتماعية تُسهل عملية التفسير، تشكّلت وبمرور الزمن الأسس الاجتماعية لمحتواها أيضاً. في النهاية اختلط التفسير بالقرآن بعد أن كان يعرف كفرع منه وخاصاً بظرف تاريخي معين ووجد لنفسه مكانة لازمنية أي أنه وبمرور الزمن "يصبح التفسير القديم جزءاً من الواقع القديم الذي انضم مؤخراً الى مضمون القرآن وبالنتيجة اعتُبرت هذه التفاسير بأنه لا مجال للشك فيها ووجدت لنفسها إذناً للابداع بغية المشاركة في بناء شريعة الاسلام المقدسة. (Barlas, 2019, 40 - 41)."

٢. عملية نقد القراءات النسوية للقرآن

تسببت القراءات النسوية للقرآن الكريم بتهميش أصل لازمانية ولامكانية هذا الكتاب الإلهي وذلك عبر التقليل من الأحكام التشريعية الخاصة بالمرأة وتعريفها كمجرد تجارب دينية خاصة بالنبي الأكرم(ص) محدودة ببيئته الثقافية، ولهذا هناك نقد كثير موجّه لها:

١-٢. نقد جعل الاعتبار الزمني(مرحلي-تاريخي) لنص القرآن

اعتبار الوحي أنه من جنس التجارب البشرية هو أحد المبادئ المعرفية في منظور المفسرين النسويين، لكن اذا ما قبلنا أن الوحي

[1] - manipulated

علم حضوري وعلاقة دون واسطة مع الله عز وجل، فلن يكون أي معنى لتأثره من الظروف الزمانية والمكانية والثقافية المحيطة به. العلم الحضوري يعرض الوقائع على البشرية جميعها بأفضل شكل ويحمي تلك الوقائع من التأثر من بيئتها.

دراسة وجهات نظر القائلين بحصر تعاليم القرآن ضمن فترات محددة تحكي لنا أن هؤلاء يوجهون بعض الشكوك أساساً بإلهية القرآن وشمولية نصه إذ أن جذور معضلة مرحلية القرآن الجدلية تقع في التغافل عن فكرة كونه وحياً، فالنظرة التاريخية تقول أن الوحي قد تشكّل في بيئة الحجاز وضمن أطرها الزمانية والمكانية وهذا ما يوجب دراسة الوحي ضمن أطر النسيج الثقافي والاجتماعي لمخاطبيه العرب والّا فكفاءة هذا الكتاب لهداية عموم البشرية ستكون موضع شك.

هذا في حين أن حقائق الوحي ومعارفه قد نزلت من جانب رب العالمين على النبي الأكرم(ص) ولم يكن لظروف النبي الزمنية والمكانية أي تأثير عليها، وقد أكد الله عزّ وجلّ في كتابه مرات عدة على أن هذا الكتاب هو كلام إلهي وقال: «قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُون» (يونس:١٦)

علماً أن النبي الأكرم(ص) كان رسولاً أمّياً جرى انتقاءه لايصال هذه الرسالة: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ*إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ*فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ» (القيامة:١٦-١٨)

يجب الانتباه الى هذه النقطة أن القرآن الكريم قد جرى وحيه ليكون متناسباً مع ثقافة الحوار الرائجة في عصره وهذه قاعدة عقلانية تماماً يَحذر الجميع من عدم مراعاتها، لكنها أيضاً لا تعني تبعية القرآن من ثقافة الجاهلية بل تعني مراعاة القرآن لمدى فهم مخاطبيه وظروف نزول القرآن. يقول الله في كتابه حول كيفية تبليغ الأنبياء لرسالاتهم: «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم» (ابراهيم:٤).

وعليه فإن ما تعبر عنه السيدة بارلاس "بالمسايرة ومقاومة قراءة القرآن ضمن نسيجه التاريخي" هو في الحقيقة وعي المفسرين بتبعات القبول بسمة مرحلية نصوص القرآن وقراءاته وفهمه، إذ أنه وبفتح الباب أمام هذه السمة، ستأخذ بالتوسع ولن يكون هناك أي معيار لتحديد أي جزء من القرآن هو مفهوم تاريخي مرحلي خاص بعصر الوحي وأي جزء منه عام لجميع العصور، وستكثر الأسئلة حول قضاياه كمثل حكم القرآن في قضية ما واتخاذ موقفه الصريح منها كم كان مختصاً بظروفها الزمنية الخاصة وما مدى شموليتها على سائر الظروف أيضاً؟

في الظاهر يمكن اعتبار أن أمثال هؤلاء المفكرين النسويين يسعون لترسيخ فكرة خلود القرآن وشموليته العالمية، لكنهم في الحقيقة قد سلّموا تحديد الآيات الشاملة عالمياً الى العقل البشري. كمثال: إن النبي(ص) كان يواجه عبدة الأصنام وحيث أنه لم تكن هناك أرضية مناسبة لتقبل كثرة ركعات الصلاة لعبادة رب العالمين، قام الرسول بالاكتفاء بهذا العدد المحدد منها، لكن الآن ونظراً لخلاص المجتمع من عبادة الأصنام، ينبغي زيادة عدد ركعات الصلاة! أو كمثال آخر يمكن ادعاء أن الصلاة والصيام قد فرضتا لابعاد الناس عن عبادة الأصنام لكن اليوم إذ لا أحد يعبدها فلم يعد هناك حاجة لهذا القدر من الصلوات اليومية أو الصيام لشهر. كمثال ثالث يمكن الادعاء بأن الحجاب قد فرض لتمييز الجواري عن النساء الأحرار لكن اليوم وبعد أن انتهى عصر العبودية فلم يعد هناك حاجة للحفاظ على الحجاب. كمثال رابع: لم يكن للنساء حق فسخ عقد النكاح فقط ضمن ظروف الوحي وبالتالي لم يُعمم ذلك وعليه اذا ما

توفرت الظروف المناسبة يمكن للمرأة أن تفسخ عقد النكاح أيضاً. هل هذه الأمور هي غير الظنّ والتشكيك؟

ما من شك حول أهمية الانتباه الدقيق للظروف التاريخية لتكوين فهم عن الآية بغية استنباط معانيها العامة وحتى قام أكثر المفسرين التقليديين بذكر أسباب نزول الآيات لفهمها وتأثيرها، لكن ينبغي ألّا يكون ذلك دون ضوابط وألّا يجتاز تعاليم المفسرين الحقيقيين للقرآن وهم أهل البيت عليهم السلام. في موضوعنا هذا يجب البحث عن فلسفة الأحكام في طبيعة الرجل والمرأة وماهيتهما وهي أمور ثابتة جعلها الخالق الحكيم لازمانية ولامكانية ولن تختلف حتى في العصر الحالي وفي المجتمع الغربي المتقدم، بل يمكن أن تظهر بشكل آخر وظاهر أكثر حداثة.

ومن هنا يمكن القول إذا ما تم القبول بالقراءات النسوية للقرآن الكريم، سيتم تعريف عدد محدود ومبهم من العبارات التشريعية في مجال المرأة وحتى تلك العبارات ستكون قابلة للمطابقة مع أي نظام فكري وعملي مما يؤدي لزوال ما يميز الاسلام عن سائر الأديان وحتى الطرائق المبنية على أساس الشرك، وهذا ما يناقض جلياً المفاهيم القرآنية والروايات التي تؤكد بشدة على التعارض المبدئي بين التوحيد مع الشرك. يجدر بالذكر أن الأحكام التشريعية للقرآن ذات الجذور الفطرية، تخفي في طياتها مصالح ذات اعتبار مطلق وعام لمختلف الأزمنة وغير مخصصة لمخاطبي عصر النزول فحسب.

الكثير من القوانين العالمية هي وليدة ظروف تاريخية خاصة دون أن تسري مرحلية نشأتها الى مرحلية القوانين بذاتها، كمثل أن يستنتج قوم ما إثر تعرضه للظلم ولهزائم عدة بأن الظلم لا يدوم ويجب تحقيق العدالة. هل هذه القاعدة (الاستنتاج) مرحلية وآنية لزوماً لكونها تجربة قوم محدد؟ أيضاً هناك الكثير من الوقائع العينية التي تشكل ظروف نزول آية ما أي أنها ليست سبباً لنزولها، كواقعة هبوط النبي آدم(ع) الى الأرض التي هي حادثة مرحلية وظرفاً لنزول الآيات وليست سبباً لنزولها والآيات المرتبطة بها(عرب صالحي، ١٣٩٥: ٦٧٠-٦٧١).

القرآن الكريم مشرف على الأحداث وليس بمتأثر أو متفرع منها. تشهد على هذه الحقيقة مدلول الآيات أيضاً كما تشير أن وجود القرآن مسجل في "اللوح المحفوظ والكتاب المبين وأم الكتاب" إذ تقول الآيات: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ*فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ» (البروج:٢١-٢٢)، «فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» (الأنعام:٥٩؛ يونس:٦١؛ سبأ:٣) و«إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ*وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ»(الزخرف:٣-٤).

وعليه فلا يمكن لآيات القرآن أن تكون معلولةً أو متأثرة من ثقافة العصر إذ أن الله العليم المطلق قد رتّب الأحداث كلها في علمه الأزلي وما من حدث قابل للتغيير في عالم الكائنات. هذا الكون لم ولن يكون بوسعه أن يكون على النحو الذي يدعّيه هواة مرحلية وتاريخية القرآن بأنه يجب تغيير الآيات ومفاهيمها مع تغيير الأحداث. تم انزال القرآن الكريم المكتوب الحالي على النبي الأكرم(ص) وهو كما كان الحقيقة العليا على ما عليه. يعبر العلامة جوادي آملي عن هذا الأمر "بتجلّي القرآن" من المرتبة العليا على العالم السفلي، وهو تعبير مقابل "للتجافي" (كتجافي المطر عند نزولها من الغيوم-راجع: جوادي آملي، ١٣٨٧: ١٧٧).

عندما نتحدث عن أبدية رسالة القرآن وعالميتها، فهذا لا يعني أن فهم عصر البعثة والنبوة عنه لا قيمة له، بل على العكس كلما قربنا أكثر الى لغة وحي القرآن سنحصل على فهم أدق له. نحن نتقبل فهم الجيل الأول من القرآن بسبب قيمة الوحي المنضبطة ولكننا لا نعتبرها نهاية المطاف إذ أن المعارف والعلوم في بعض القضايا المرتبطة بآفاق الكون والحياة والعلوم الانسانية

تكون أكثر منها في عصور الأولى. توقف ذاك العصر في فهم تلك القضايا الى أن توسعت العلوم خلال العصور الأخيرة(راجع: غزالي، ١٣٨٦: ٣٥٩)، فمثلاً تلك المصالح التي أدت لتعدد الزوجات في بداية الاسلام مازالت قائمة في المجتمعات الحالية أيضاً وذلك لأن الحكم المذكور يتناسب مع الطبيعة الثابتة والاحتياجات الفردية والاجتماعية للمجتمع وأيضاً لمصالح عموم البشر التي هي الأخرى دائمية أيضاً.

٢-٢. نقد فكرة القاء الطابع البشري على النص القرآني

بما أن مدعي مرحلية القرآن وتاريخيته يرون ماهية الانسان كائناً محدوداً ومرحلياً أيضاً، يرون فهمه عن الوحي الإلهي مرحلي وبشري أيضاً كما أنه يشترط لانتقال وحي الله الى الانسان أن يصبح الوحي بشري أيضاً. للاجابة على هذا الادعاء يجب القول أن وجهة النظر هذه قد تغافلت عن البعد الروحي للانسان إذ أن الأنبياء وإن كانوا بشراً كسائر الناس: «يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشي فِي الْأَسْواق» (الفرقان:٧)، الّا أن كل واحد منهم قد تحدث مع قومه بلغتهم «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم» (ابراهيم:٤)؛ كما تحدث القرآن بالعربية والتورات بالعبرية والانجيل بالآرامية وهذا ناجم عن تعدد مخاطبي الوحي(ايزي، ١٣٨٠: ٣٣) لكن حقيقة الوحي الذي جاؤوا به جميعاً هي فوق كل اللغات.

لغة القرآن الكريم وإن كانت عربية الّا أن ماهيتها المنيرة لا تنحصر بأي من اللغات ولا الأزمنة ولا الأعراق ولا الجغرافيا بل انها تقع في خزانة الحكمة الإلهية الرفيعة وتضيء من مكانتها العالية على فطرة الانسان الملكوتية داعية إياها للتفكير: «وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ*إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ*وَ إِنَّهُ فِيأُمِّالْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّحَكِيمٌ» (الزخرف:٢-٤)

الدين أيضاً من حيث مبدأ الفاعلية، ثابت دائمي لا يتغيير كما أنه من حيث مبدأ القابلية، واحد لا يقبل التبديل. منشأ الدين إلهي، ومخاطبه فطرة الانسان وذاته وروحه والتي صرّح عنها القرآن بأنها مشتركة لدى الجميع ولا تتقادم: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْديلَ لِخَلْقِ اللَّه» (الروم:٣٠)

هذا في حين أن المفسرين النسويين قاموا بتقليص الوحي النبوي الى حد مجرد تجربة انسانية اعتيادية، علماً أن التجربة الدينية للنبي الأكرم(ص) كانت تجربة خاصة من الوحي باشراف رب العالمين مع نزول ملك الوحي والتي عبر عنها القرآن بالفضل الإلهي. لكن فكرة إلقاء الطابع البشري على تجربة النبي الأكرم(ص) تستلزم توسيع دائرة النبوة لتشمل جميع الناس وهذا التفسير عن الوحي مناف للتفسير الرائج عن الوحي في الاسلام.

المشكلة الواردة على هذا الادعاء هي أنهم يتصورون أن تلقي القاءات الوحي من قبل الرسل يجب أن تكون ذات طابع بشري حتماً كي تكون قابلة للاستلام من قبلهم دون أدنى انتباه من هؤلاء المدعين لعلم البشر القليل حول الروح: «ما أُوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَليلاً» (الإسراء:٨٥). قد يكون تصورهم الخاطئ هذا بسبب تفسيرهم الخاطئ لكلمة "القلب" في الآية: «نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ» (البقره:٩٧)، إذ أنه يقصد بقلب النبي الأكرم(ص) مرتبة من روحه السامية لا القلب المادي. تطرق العلامة طباطبائي رحمه الله لعدد من الافتراضات المرتبطة بنزول الوحي على قلب النبي الأكرم(ص) ورفضها كلها معتبراً إياها دون أساس واثبات وأن مدعيها أرادوا بذكرها فقط مقارنة الأمور الغيبية بالأحداث المادية بغية تطبيق أحكام الأحداث المادية على الغيبية (طباطبائي، ١٤١٧: ٣١٩/١٥). قابلية فهم الوحي من قبل الأنبياء لا تحتاج لأدوات بشرية أو لتهيئة ظروف مادية محددة.

من المؤكد أنه من مهام الوحي تقديم حلول لمشاكل البشرية وفق ما يقتضيه الزمن، لكن هذه القضايا لا تنحصر بأناس عصر نزول الوحي ولغة الفطرة ستفهمها في كل زمان ومكان.

وعليه قام دين الاسلام بتوقع كل الحاجات الارشادية للبشرية فوضع لتلك الثابتة منها قوانين ثابتة وجعل لتلك المتغيرة منها قوانين متغيرة وقام بتنظيمها على أساس الفطرة المشتركة لأبناء البشر.

٣-٢. نقد فكرة ضرورة إعادة تفسير القرآن من المنطلق الجنسي

في نقد نظرة المفسرين النسويين هذا يجب طرح التساؤل التالي: وهل فهم القرآن وتفسيره يفتقد الى الضوابط الواضحة كي ينسب كل امرء فهمه للقرآن؟ لا نحصل على التفسير الصحيح دون مراعاة أصول التفسير التي يمكن تصنيفها في خمسة أجزاء هي: القواعد الكلية للتفسير ومصادر التفسير والعلوم اللازمة للتفسير وظروف التفسير وأسلوب ومراحل التفسير. اهمال هذه الأسس يفقد التفسير اعتباره ويجعل النتيجة الحاصلة من مصاديق "التفسير بالرأي" وفق تعبير النبي الأكرم(ص) في حديثه الشريف: «قالَ اللهُ عزّوجلّ: ما آمَنَ بی مَن فَسَّرَ بِرَأيِهِ كَلامی» (صدوق، ١٣٩٨: ٦٨). هناك ثلاثة أنواع من التفسير بالرأي أولها أن يقوم المفسّر بتفسير القرآن بناءاً على رأيه المسبق وهذا قد جعل من الآيات مستمسكاً لنفسه فيستحق التنديد. أما الثانية أن يقوم المفسر بتفسير الآيات بالاستعانة برأيه الشخصي عوضاً عن الاستعانة بقواعد اللغة والأدب العربي والقرائن الموجودة، أما الثالثة فهي قيام المفسر بطرح آراءه الشخصية عوضاً عن تبينه لمضمون الآية فينشئ علاقة "هذه نفسها" بين الآية الشريفة وآراءه الخاصة. بهذه الحالات يمكن القول أنه ما من ضمان أبداً لمنع دخول التفاسير الخاطئة للنص القرآني وأن هذه الفوضى ستؤدي لانكار التعاليم الدينية حتماً، وهذا في حين أن حياة الانسان في يومنا هذا والفجائع الموجودة في العصر الحديث تحكي لنا أن البشرية لن تقوى على تحديد سعادتها حتى في الدنيا دون الدين والقيم والأحكام الأخلاقية، والدليل على ذلك هو أنواع الأزمات الأخلاقية والمعرفية والأسرية والاجتماعية التي سلبت المجتمعات البشرية هدوءها في حين أن مختلف المدارس والتيارات التي تعمل على مواجهة هذه الأزمات، اذا ما ساهمت بنفسها بزيادة حدتها لم تكن مجدية وفاعلة على الأقل وقامت بتجربة مختلف الحلول كل يوم الى أن قامت بنقد بعضها البعض (كمثل الاستحداث في مقابل الاستحداث المفرط)، لكن التعاليم الدينية لا زمانية ولا مكانية وهي قادرة على تلبية احتياجات البشرية في كل عصر.

بناءاً على ما سبق يتضح لنا أن الهدف الأساس للمفسرين النسويين ليس الكشف عن الحقيقة المغطاة خلف ستارة التاريخ وإنما هو اثبات ادعاءهم الذي يقضي بالتساوي المطلق بين الرجل والمرأة في الأحكام الحقوقية واهمال كل الاختلافات الطبيعية بينهما. أمّا التوسل بالشريعة لاثبات الوجهات النظر النسوية لن يؤدي الا لسوء تأويل بعض الآيات ولعدم الشمولية في الأبحاث التاريخية ولتخريب الشريعة.

الاستنتاج

* سعى المفسرون النسويون لانتهاز الهرمنوتيك بمحورية القرآن لتفكيك قيم الدين عن التفاسير ذات التوجهات المحددة والتقاليد الرسمية الرائجة في القرآن، كما يسعون لاستخراج نظام فكري أخلاقي من القرآن كي يختلقوا بناءاً عليه الحلول الابداعية لبعض القضايا التاريخية المعرفية المتعلقة بالمرأة مع تحديثهم لمفاهيم أساسية في القرآن كالتوحيد والعدل ودور الانسان أمام الله دون اكتراث لوظيفة الجنسين.

* عدم التزام النساء المفسرات بأسس التفسير وقواعده الى جانب عدم تمتعهن الكافي بعلوم الأساليب والطرائق اللازمة لقراءاتهن تلك، مهد الطريق أمام نقدهن.

* من منظور المفرسين النسويين، الفهم التاريخي (المرحلي) للقرآن يساعد في تكوين فهم أدق عن الآيات وفي المقابل فاهمال البيئة والظروف الزمنية لآية ما يؤدي لنسب معنى عام وشامل اليها في حين أنها خاصة بظروف محددة. التدقيق في وضع المرأة عند نزول الوحي يساعد في فهمها بشكل أفضل كما أنها تؤكد لنا على القضايا الخاصة بتلك الظروف. هذه الخصائص هي أدوات لتحصيل الغاية الإلهية وهي مشروطة بفهم المعطيات التاريخية بشكل مناسب.

* في الفهم النسوي لآيات القرآن تم تعريف العدالة "بمطالبة المساواة المطلقة" وتم التركيز عليها كمفهموم أساسي مفترض سابقاً لتوجيه التفاسير. أي بعبارة أخرى جُعلت "المساواة الجنسية" قاعدة تفسيرية وقضية أساسية لفهم كامل القرآن، في حين أن العدالة تارة تعني المساواة وتارة أخرى تعني اعطاء الحقوق وفق ما تقتضيه الأمور الخاصة، وعليه فالمساواة لا تتطابق مع العدالة تماماً، وبالتالي القاء المساواة بين الجنسين في القرآن عوضاً عن العدالة بين الجنسين يكون خطأ كبيراً وأما اتهام هؤلاء المفسرون النسويون للقرآن الكريم أنه مناهض للمرأة وقائم على التمييز الجنسي كلام غير منصف بتاتاً لأن العدالة والمساواة مفهومين مختلفين.

* النظرة الانتقائية لعصر نزول الوحي واعتبار آيات القرآن وحتى العامة منها على أنها مرحلية وخاص بزمن محدد، وعدم القبول بلا زمنية ولا مكانية بعض الآيات المتعلقة بشؤون المرأة وحصر هذه الآيات بفترة نزولها من قبل المفاهيم النسوية محل نقد كبير إذ أن تقليص الأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة واعتبارها مجرد تجارب دينية خاصة بالنبي الأكرم(ص) ضمن ظروفه البيئية والزمنية تؤدي لاضاعة مضمون الرسالة الدينية كما أنها تؤتي بثمار باطلة، كما أن التغافل عن ضوابط التفسير الممنهج للآيات وتهميش قاعدة لا زمنية ولا مكانية القرآن هي من استراتيجيات المفسرون النسويون العاملين على انتهاز التعاليم الدينية بغية اثبات وجهات نظرهم النسوية.

* يجدر بالذكر أن بعض العوامل كالثقافة والمعتقدات والظروف الجغرافية وأحياناً الضوابط الاجتماعية في كل بلد قد أنتجت أشكال مختلفة من النماذج الجنسية لكن كل تلك النماذج لا تتنافى مع الروح الكلية الحاكمة على الشريعة بل تتناسب مع مقتضيات الزمن ومستخرجة من الآيات القرآنية وروايات المعصومين عليهم السلام على يد علماء الدين وبواسطة تعاليم أهل البيت عليهم السلام.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. ايازي، سيدمحمدعلى، (١٣٨٠ش.)، القرآن وثقافة العصر، الطبعة ٢، رشت: كتاب مبين.
٣. جوادي آملي، عبدالله، (١٣٨٧ش.)، الوحي و النّبوّة، قم: اسراء.
٤. صدوق، محمدبن علي بن حسين، (١٣٩٨ق.)، التوحيد، مصحّح: سيدهاشم حسيني تهرانى، قم: دارنشر: جامعة مدرسي الحوزة العلمية.
٥. طباطبايي، سيدمحمدحسين، (١٤١٧ق)، الميزان، قم: مكتب الانتشارات الاسلامية.
٦. عرب صالحي، محمد (١٣٩٥ش.)، «أسس التوقيت التاريخي للقرآن وتحليل ونقد أسس التعرف عليه عبر

الوحي»، فلسفة الدين، الدورة١٣، العدد٤، ٦٥٩-٦٧٩.

٧. عليدوست، ابوالقاسم، (١٣٨٨ش.)، الفقه ومصلحة، تهران: دار نشر: مؤسسة أبحاث الثقافة و الفكر الاسلامية.

٨. غزالي، محمدبن محمد، (١٣٨٦ش.)، نظرة حديثة في فهم القرآن، ترجمة داوود نارويي، الطبعة ٢، تهران: احسان.

٩. هدايت الله، عايشه. (١٤٠٠) ، الهوامش النسوية (فمينستية) للقرآن، ترجمة: مرضية محصص و نفيسه دانش فرد، نشر: كركدن.

١٠. ودود، آمنه (١٣٩٥). القرآن والمرأة: اعادة قراءة النص المقدس من منظور إمرأة. ترجمة: اعظم پويا زاده و معصومه آگاهي. تهران: انتشارات حكمت.

11. Ahmed, Leila. Women and gender in Islam: historical roots of a modern debate, (New haven: Yale university press, 1992).
12. Barlas, asm. “Believing women in Islam: Unreading patriarchal interpretations of the Qur’an”, (Austin: university of Texas press, 2002).
13. Barlas, Asma, Believing Women in Islam: Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur’an. University of Texas Press, Austin. 2019.
14. Mernissi, Fatima. Islam and Democracy, (Addison-Wesley Publishing Company, 1992).
15. Wadud, Amina. “Qur’an, Gender, and Interpretive Possibilities.” Hawa 2.3 (2004): 316-336.
16. Wadud, Amina. Inside the Gender Jihad, Women’s Reform in Islam, oxford, London. 2008.
17. Wadud, Amina. Inside the Gender Jihad: women’s reform in Islam. Oxford: Oneworld, 2006.
18. Wadud; Amina. “Qur’an and women: Rereading the sacred text from a woman’s perspective. New York: Oxford University Press, 1999.